

ما الذي يريده بوتين؟

إعداد وترجمة: ليلى زيدان عبد الخالق

الحلقة الماضية من هذا التقرير الذي كتبه روستيلاف أوشينكو لـ «Information Clear House» صنّعت عدّة مؤشرات على صحّة استراتيجية الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، في سعيه إلى فرض معادلات جديدة في هذا العالم، كي يتحرّر من الهيمنة التي تمارسها - أو كانت - الولايات المتحدة الأميركية مستفردة بالقرار العالمي.

ورأينا كيف أنّه - بحسب أوشينكو - مع كل سنة تمضي، تضعف الولايات المتحدة وتقوى روسيا أكثر فأكثر. معتبراً أنّ ذلك تطوّر طبيعي ويمكن الحدوث. مؤكداً أنّه - وبين عامي 2020 و2025 - سنتهي الهيمنة الأميركية ومن دون حدوث أيّ مواجهات، وستوجّه حينذاك الصّائح لوشنطن حول السبل الأخرى التي عليها انتهاجها بهدف درء تراجعها الداخليّ الحادّ على كافة المستويات، لا في مسألة كيفية حكمها وإدارتها للعالم.

كما رأينا - بحسب أوشينكو أيضاً - أنّ أيّ حرب هي صراع على الموارد. والفائز التقليديّ هو من يضع يده على العدد الأكبر من الموارد، وفي نهاية المطاف، يمكن تعميّة المزيد من القوات، وبناء المزيد من الدبابات والسفن والطائرات. وحتى أولئك المحرومين استراتيجياً، ربما يحولون النصر تكتيكياً لمصلحتهم على أرض المعركة، تماماً كما حدث في حروب الإسكندر الكبير، وفريدريك العظيم، وكذلك حملة هتلر بين عامي 1939 - 1945.

الحلقة الثانية والأخيرة من تقريرنا هذا مقسّمة إلى جزئين: الأول يتضمّن ما يتبقّى من مقال أوشينكو، والثاني عبارة عن مقال لعبد الجليل الساعدي*، نُشر في أيار عام 2012 في مجلة «المجلة»**. ويعتبر هذا المقال وجهة نظر أخرى عن بوتين، تنتقدّه من باب أنّه وصل إلى حكم روسيا عن طريق قمع التظاهرات وكَمّ الأفواه المعارضة. لكنّ المقال لم يخل - وإن بطريقة تقديّة - من إبراز صفات بوتين القويّة، وقدرته وإمكاناته.



رئيسهم مركزاً على أمجاد روسيا، والفرق شاسع بين أن تكون أعين الشعب مصوّبة نحو التحرّر والانعقاد من زمن الستارة الحديدية، وبين أن تكون عينا الرئيس رهينتي المحبس المؤلث.

وعلى رغم أنّ رجل الكرملين تلقّقه المعارضة، وتفسد عليه نومه، لدرجة أنّه نعتها بأنها تنفذ أجنّات خارجية، وإنّه يبدو أن الرياح الآن تجري بما يشتهي بوتين الذي وجّه اتهاماً مباشراً لابليس فيه إلى الولايات المتحدة، وقال إنّها من يدفع هؤلاء الناس إلى التظاهر. وكال الاتهامات إلى وزيرة الخارجية الأميركية (آنذاك) هيلاري كلنتون أيام الانتخابات الروسية، مشيراً إلى أنّ «هناك من يستمعون إلى تصريحاتها، فيسعون إلى إثارة الاحتجاجات والتظاهرات. فهي تقول إن الانتخابات ليست نزيهة على رغم أنّها لم تلتق تقارير من المراقبين». وفي لهجة تحذيرية قال: «إن بلادنا يجب أن تزيد من يقظتها في التصديّ للجماعات الأجنبية التي تؤثر على سياسة البلاد الداخلية، وينبغي سوق هؤلاء إلى المحاكمة».

ومضى بعيداً حين قال في كانون الثاني، إن العالم مهذّب بظهور «قوى هدامة في بعض دول العالم، هاجستها تقويض أمن الشعوب واستقرارها». وفي إشارة على ما يبدو لأمبرك والغرب عموماً قال إن هناك دولاً تنتهك القانون الدولي وسيادة الدول، عن طريق التدخل العسكري المباشر، تحت ذريعة الدعوة إلى الديمقراطية، وفي هذا، فهي لا ترى نفسها أنها تنتهك بذلك حقوق الإنسان».

وفي ظل هذه الفوضى المالية، والتردي الاقتصادي، يشعر بوتين بشيء من القوة، ويرى أنّ بلاده ما زالت تملك الفرصة في تحقيق النمو الاقتصادي المطلوب، فلسان حاله يقول: هل تودون أنّ تكونوا مثل جيرانكم من الأوروبيين الذين يترنحون؟! معيدهم إلى ماضيهم التليد؟

خرج الروس في تظاهرات عارمة، رأى فيها كثيرون من المحللين أنّ «ربيعاً روسيا» على غرار «الربيع العربي»، يدهم الكرملين وقادته، ويبتدّر بالتغيير في هذا البلد الذي حكمه عدّة الشبوعية وجلازتها بالحدود والناس. لقد وهّأه تنفّس هواء الحرية الذي حرّموا منه طويلاً. ولكن القيصر عرف من أين تؤكل كتف المعارضة. وفي المقابل هناك كلام عكس هذا تماماً. وانصاره هم القوميون الروس الذين يدعون إلى ستارة حديدية من نوع آخر تعيد إلى البلاد هيبتها ومجدها التقليدي.

ويرى مراقبون أنّ هذا الاتجاه ربما كان سيقابل ببعض المعارضة والرفض من داخل القوات المسلحة، لذا فإن مناصري بوتين تحزروا لهذا، وتداركوا الأمر قبل أن يتولى بوتين المنصب الرئاسي. فيجد كل شيء جاهزاً من دون أيّ إخراجات. فرجل روسيا القوي يبدو أنّه لا يتحمل المشاحنات والشد والجذب. هو يريد أن ينفذ برامجه بهدوء وسكينة. لقد وضع هذا الرجل وبالآرقام برنامجه التسليحيّ المخيف. وكأنه بهذه الخطوة يعلن ميلاد روسيا الجديدة.

ويقول مراقبون الشأن الروسي، إن بوتين ما كان له أن يهبط في منصبه من دون أن يتخلص من مردوخ روسيا فلاديمير جوسينسكي الذي كان رئيساً للمؤتمر اليهودي الروسي، وكان قيصر الإعلام في روسيا. لكن تسوية حدثت في ما بعد، هُرب على إثرها جوسينسكي إلى «إسرائيل»، بعد تمكنه من بيع وسائل إعلامه.

* عبد الجليل الساعدي، كاتب صحافي وإذاعي، عمل كاتباً ومقدّمًا للبرامج الثقافية واللغوية. اشتغل في بعض الصحف منها: «الشرق الأوسط» و«الزمان» و«المشاهد» الصادرة في لندن. كان يكتب عموداً أسبوعياً في «الزمان». يدرّس في بعض الكليات والجامعات البريطانية. نال شهادتي الدكتوراه والماجستير في لندن، وأتمّ دراسته الجامعية في طرابلس، ليبيا.

** «المجلة»، مجلة تصدر شهرياً بالعربية والإنكليزية والفارسية في لندن.



قارة مليئة بشتّى أنواع الأسلحة، حيث يعيش أكثر من نصف مليار شخص، ستكون أسوأ بمراحل من الحرب الأهلية الدائرة في أوكرانيا.

ليس في مصلحة روسيا - على الإطلاق - أن يمتدّ الصراع عبر المحيط الأطلسي إلى جبال الكاريبات، في الوقت الذي لا تزال فيه المناطق الممتدة من الكاريبات إلى ديينر مشتعلة. ومع ذلك، فإن أهداف بوتين تكمن في العمل على منع امتداد التانفّرات السلبية لحريق أوكرانيا إلى أوروبا. إذ يستحيل علينا التفرّج إلى مثل هذا الاستنتاج (لأنه لو أرادت واشنطن إشعال النيران فستتمكن من ذلك). إنه لمن الضروري أيضاً أن تكون قادرين على إخماد الحروب بسرعة كي تتمكن من إخماد ما هو أخطر بكثير.

وبالتالي، ويهدف حماية مصالح روسيا، فإن بوتين يعتبر السلام العنصر الأكثر أهمية وحيوية، لأنه السلام الذي يجعل من الممكن تحقيق الأهداف الأهم بأقل تكلفة ممكنة. لكن، وبما أنّ السلام أصبح أمراً بعيد المنال، وأنّ المعاهدات أصبحت أكثر دقة، فإن بوتين يحتاج إلى إنهاء الحرب في أسرع وقت ممكن.

لكنني لا أريد التأكيد أنّه من الممكن التوصل إلى حلّ وسط قبل ستة على أبعاد تقدير مع الغرب (قد تكون روسيا لا تزال قادرة الحصول على أهدافها إنمّا مع تنازلات بسيطة وفي أوقات لاحقة)، ليست ممكنة بعد الآن. والظروف تزداد سوءاً بشكل تدريجي، لكن ظاهرياً لا يزال الوضع على حاله: فالسلام لا يزال هو الأنسب لروسيا. تتغيّر أمر واحد فقط، وهو على غاية كبيرة من الأهمية: الرأي العام. المجتمع الروسي يتوق لتحقيق النصر وكذلك للانتقام. وكما أشرت سابقاً، القوة الروسية قوة موفقة أكثر منها سلطوية. ولهذا، فإنّ الرأي العام الروسي، على عكس «الديمقراطيات التقليدية».

قد يستطيع بوتين لعب دوره باعتباره محور نظام يحظى بدعم غالبية السكان. بينما إذا خسر هذا الدعم، فيجب أن تكون واضحة ولا السياسية من يحظى بإجماع الغالبية، فإن النظام سيقترب من الانهيار. يمكن الحفاظ على السلطة ما دامت تجسّد رغبات الجماهير، إذ، يمكن هزيمة النزاع في أوكرانيا، حتى لو كانت دبلوماسية، فيجب أن تكون واضحة ولا ليس فيها. إلا في ظل هذه الظروف ذات الحلول الوسطية الروسية الممكنة.

لذا، وبغض النظر عن الأُمّيات البوتينية والمصالح الروسية، وبالنظر إلى التوازن العام للسلطة، فضلاً عن الأولويات والقرارات والانتصار، فالحرب التي كان لا بد لها أن تنتهي على الحدود الأوكرانية السّنة الماضية، قد ينتهي بها المطاف للانتشار في كافة أنحاء أوروبا. يمكننا أن نتخهن من ذا الذي سيكون النزاع في أوكرانيا، حتى لو كانت دبلوماسية، فيجب أن تكون واضحة ولا هناك أمراً واحداً واضحاً للغاية: ستقتصر مبادرات السلام من القادة الروس على قدراتهم الفعلية لا فقط على أمنيّاتهم. ومن غير المجدي تحذير رغبات الشعوب أو محاربة مجرى التاريخ؛ لكن عندما يتزامنان، فإن الأمر الوحيد السياسي الحكيم الذي يمكن القيام به، فهم رغبات الناس واتجاه العملية التاريخية، ومحاولة تقديم الدعم لها في جميع التكاليف.

إن هذه الظروف التي وصفت أعلاه، تجعل من المستبعد للغاية العثور على انصاف للدولة الروسية الجديدة، لتبني رغبات المناصرين لها. ونظراً إلى حجم الاشتعال المقيع، الذي سيحدّد مصير أوكرانيا ككلّ ليس معقداً للغاية، قد يكون من المنطقي أن نسال الشعب الروسي ما يلي: إذا عاش الروسيون الذين أنقذناهم من النازية، في «روسيا الجديدة»، إذا لم قد يرغبون بالعيش في دولة مستقلة؟ لكنهم لو أرادوا ذلك، فلم على روسيا أن تعيد بناء مدنهم ومصانعهم؟ هناك جواب منطقي واحد على هذه الأسئلة: يجب أن تصبح «روسيا الجديدة» جزءاً من روسيا (خصوصاً أنها تملك مقاتلين بما فيه الكفاية، على رغم أنّ الطبقة الحاكمة تبقى إشكالية كبيرة).

حسناً، إذا استطاع جزء من أوكرانيا الانضمام إلى روسيا، فلم لا تتضمّن بكاملها إليها؟ ومحاربة كما الحال في جميع الاحتمالات قبل. هذا السؤال هو أيضاً إلى جدول الأعمال، فإن الاتحاد الأوروبي لن يكون بديلاً للاتحاد الأوراسي (لأوكرانيا).

ونتيجة لذلك، فإن قرار الانضمام إلى روسيا سيُخذ من قبل أوكرانيا الاتحادية الموحدة لا من قبل بعض الكيانات التي لا تتمتع بقرار واضح. وأرى أنّه من السابق لأوانه إعادة رسم الخريطة السياسية، ومن المرجح أن ينتهي الصراع في أوكرانيا مع نهاية السّنة الحالية. أما إذا قررت الولايات المتحدة أن يمتدّ هذا الصراع إلى الاتحاد الأوروبي (وستحاول القيام بذلك)، فإن القرار النهائي للقضايا الإقليمية سيستغرق ما لا يقل عن بضع سنوات وربما أكثر.

بمقدورنا الاستفادة من السلام في ظلّ أيّ ظروف كانت. ففي ظروف السلم، ستتمو الموارد الروسية الأساسية، أما الحلفاء الجدد (الشركاء السابقون للولايات المتحدة) فيصبحون إلى جانبها أكثر من أيّ وقت مضى، وعندما تصبح واشنطن أكثر هامشية، فإن إعادة الهيكلة الإقليمية ستصبح أبسط بكثير، وأقل أهمية بشكل موقت.

